الرقصة الثنائية

قصة بقلم غي دوموباسان
ترجمة ابتهاج احمد الاوقاتي

ترجمت هذه القصة من اجل هؤلاء الذين اصبحوا غير قادرين على اداء مهمتهم ، مهما كانوا واينما وجدوا ، ومع ذلك يحاولون ويحاولون .. ترجمت لهم على ضوء حبي وحناني . «المترجمة»

قال جان بريديل وهو كهل اعزب عرف بشكه في كل شيء : ان المصائب الكبيرة لا تحزنني قط ، لقد شاهدت الحرب عن كثب ، وتخطيت الجثث غير راث لها . بامكان قسوة الطبيعة او الانسان ان تنتزع منا صيحات ارتياع او استنكار ، لكنها لا تسبب لنا تلك الوخزة في القلب ، تلك القشعريرة التي تسري في ظهرنا عندما نشاهد بعض اشياء صغيرة مؤلمة . طبعا ان افجع الم يمكن ان يشعر به الانسان هو فقدان الطفل بالنسبة للام وفقدان الام بالنسبة للرجل ، وهذا الشعور عاصف ، فظيع ، يهدم ويمزق، على ان الانسان يشفى من هذه الكوارث كما يشفى من جراحات واسعة دامية .

لكن ثمة بعض المقابلات ، بعض الامور الملحوظة ، بعض الاحزان المكتومة وبعض خيانات القدر تحرك فينا عالما بكامله من الافكار وتترك في نفسنا مسحة من الحزن ، وطعما بالمرارة ، واحساسا بانقباض لا نتخلص منه الا بعد مدة طويلة ، وتفتح فجاة امامنا بابا سريا لالام نفسية معقدة لا تبرأ ، الام تكاد تبدو تافهة لشدة عمقها ، وغير ملموسة لقوة حرقتها ، وغير طبيعية لشدة يأسها .

تتراءى لي دائما نصب عيني حادثتان او ثلاث من المؤكد ان احدا لم يلحظها ، لكنها تسللت الى نفسي كما تتسلل وخزات طويلة ، دقرقة لا تندمل .

لعلكم لا تفهمون التأثر الذي بقي لدي من هذه الانطباعات السريعة . لن احدثكم الا عن واحدة منها . انها قديمة جدا ، لكنها حية كما لو كانت بنت البارحة ، ومن المحتمل ان خيالي هو الذي اثار وحده اشفاقي .

لي من العمر خمسون عاما . كنت وقتئذ شابا ادرس الحقوق ، حالما يشوبني بعض الحزن ومغمورا بفلسفة كئيبة . لم اكن احب المقاهي الضاجة ، ولا الرفقاء الصاخبين ، ولا البنات الغبيات .. كنت انهض باكرا ، ومن اعز لذاتي ان اتنزه وحيدا حوالي الساعة الثامنة صباحا في حديقة « اللوكسمبورغ » . هذه الحديقة ، الا تعرفونها ، انتم ؟ كانت وكأنها نسيت من القرن الماضي ، جميلة كابتسامة عجوز عذبة . كان السياج الكث يفصل بين الممرات الضيقة ، المستقيمة ، ممرات هادئة بين جدارين من الشجيرات المقصوصة قصا منظما ، اذ ان مقص البستاني كان يعدل دون انقطاع الحواجز المؤلفة من الاغصان . وهنا وهناك يجد المرء فسحات من الارض موردة وصفوفا من الاشجار رتبت وكأنها طلاب خرجوا في نزهة ، ومجموعة من شجيرات الورد الفاخر ، او فرقا من الاشجار المثمرة . كان ركن بكامله من هذه الغابة الصغيرة مأهولا بالنحل ، والخليات الموزعة بحكمة تفتح للشمس ابوابها التي كانت بسعة فتحة الكشتبان ، وعلى طول الطريق يلقى المرء الذباب المطنطن المذهب الذي كان هو السيد الحقيقي لهذه البقعة الهادئة والمتنزه الحقيقي في هذه الممرات .

كنت اذهب هناك في كل صباح فاجلس على مقعد واقرأ ، كنت ادع الكتاب احيانا يسقط على ركبتي لاحلم ، لاستمع الى باريس وهي تحيا واستمتع بالراحة اللانهائية التي تغمر هذه الحديقة العتيقة .

ولكن سرعان ما لاحظت انني لم اكن الوحيد الذي يؤم هذه البقعة عند افتتاحها ، اذ كنت في بعض الاحيان، التقي وجها لوجه بعجوز غريب ، قصير القامة ، يحتذي جزاءا ذا قطع فضية ويلبس سروالا وسترة « رادنكوت » ودانتيلة مشدودة الى رقبته بدلا من رباط العنق ويضع على رأسه قبعة خيالية عريضة ترجع بفكر الناظر اليها الى عهد الطوفان .

كان هزيلا ، جد هزيل ، معروقا ، يغمز ويبتسم ، وعيناه المملوءتان حياة تخفق متأثرة بحركة اجفانه المتواصلة . كان دائما يحمل بيده عصا ذات مقبض ذهبي من المحقق انها كانت بالنسبة له رمز ذكرى جميلة .

لقد اثار دهشتي في باديء الامر ، هذا الرجل الصغير ، ثم اخذت اهتم به اهتماما بالغا ، فصرت اراقبه من خلال اوراق الشجر واتبعه عن بعد ، متوقفا في منعطفات الغابة كي لا يراني .

في صباح يوم اخذ يقوم بحركات غريبة ظنا منه انه وحده . قفز اولا قفزات صغيرة ، ثم انحنى ، ثم قفز في الهواء وضرب ساقه الدقيقة بالاخرى بحركة ما زالت خفيفة ، ثم اخذ يدور على نفسه بطريقة محببة، قافزا ، مهتزا بشكل مضحك، مبتسما كما لو كان جمهور امامه ، مادا يديه بحركة دائرية ، لاويا جسمه الضئيل كجسم الاراجواز ، موجها في الفراغ تحيات خفيفة ، مضحكة ومبكية .

بقيت مصعوقا من الدهشة ، متسائلا من كان منا المجنون ، هو ام انا ؟

لكنه توقف فجاة وتقدم كما يفصل الممثلون على المسرح ، ثم انحني وهو يتراجع مبتسما ومرسلا بيد مرتعشة قبلات تشبه قبلات ممثلة الى صفين من الاشجار . وتابع نزهته بوقار ..

من ذلك اليوم لم ادعه يغيب عن ناظري . في كل صباح كان يعيد تمرينه الخيالي ، واجتاحتني رغبة جنونية الى محادثته ، فجازفت وحييته ثم قلت :

ــ الطقس جميل اليوم يا سيدي !

فانحنى وقال :

ــ نعم يا سيدي ، انه يوم من الايام الخوالي !

بعد ثمانية ايام كنا اصدقاء وعرفت قصته : كان مدير الرقص في الاوبرا ، ايام الملك لويس الخامس عشر ، وعصاه الجميلة كانت هدية من الكونت « كلارمون » . لم يكن يتوقف عن الثرثرة اذا ما حدثته عن الرقص .

في احد الايام اسر لي قائلا : « لقد تزوجت « الكاستريس » يا سيدي، ساقدمك اليها اذا رغبت في ذلك ، لكنها لا تأتي هنا الا بعد الظهر . هذه

عندليب

(الى علم الجمهورية العربية المتحدة الجديد)

.. فلتخفق ..
حرا .. وكريما .. فلتخفق
من اقصى المغرب للمشرق
.. فلتخفق ،
يا نيت الحرية
انمته سواعد عربيه
يا علمي الامجد
.. يا اوحد
فلتخفق
...
.. فلتصمد ..
حرا .. وعزيزا .. ومبارك
يا رمزا نسجته معارك
وضحايا ... اعواد ، وسنابك
نقشوا الحريه

نقشوا احرفها الناريه
في الارض .. هنا ،
.. وهنالك ...
في وطني .. مصر .. وسوريه
.. فأضاء الدرب .. الصاعد
للشعب العربي الصامد
... في وجه الريح الغربيه
.. وتسامق صرح القومية
يا علمي الامجد
يا اوحد ..
...
عملاقا .. عملاقا سترفرف
عربيا .. قومي الموقف
.. يا خفق الثوريه
في قلب بلادي العربيه
رغم الرجعيه

رغم الاسوار المرتفعه
رغم الاوضاع المصطنعه
.. وشعار ملايين تزحف
كالمارد تزحف .. منطلقه
لذرى الحريه ..
.. للقمه ،
لتفر تهاويل الظلمه
وتموت الاصنام الممتقعه
ويخر نظام المرتزقه
.. يا علمي الامجد
.. يا اوحد ..
فلتخفق .

محمد مهران السيد
القاهرة

الحديقة هي سرورنا وحياتنا وكل ما بقي لدينا من الماضي . يخيل الينا اننا لا نستطيع العيش بدونها ، انها قديمة ونبيلة ، اليس كذلك ؟ يلوح لي انني اتنشق فيها هواء لم يتغير قط منذ حداثتي . اننا نمضي فيها ، انا واماراتي ، كل عصرياتنا . اما انا فأفدها صباحا لانني انهض مبكرا

ما ان انهيت غدائي حتى عدت الى « اللوكسمبورغ » فشاهدت صديقي متابطا بشكل تقليدي ذراع امرأة عجوز ضئيلة جدا متشحة بالسواد . قدمني اليها : كانت الكاستريس الراقصة الكبيرة التي احبها الامراء ، واحبها الملك ، واحبها كل ذلك العصر المفرم الذي مضى وكأنه ترك وراءه عبير الحب .

جلسنا على مقعد . كنا وقتئذ في شهر مايس ، وكانت رائحة الاوراد تتطاير في الممرات النظيفة ، والشمس تتسلل خلال اوراق الشجر ، تنشر علينا قطرات كبيرة من الضياء ، ولاح ثوب « الكاستريس » الاسود وكأنه مندى بالنور .

كانت الحديقة خالية وصوت تدحرج العربات يأتي الينا من بعيد . قلت للراقص القديم :

ـ اشرح لي اذا ما هي الرقصة الثنائية ؟

فارتعش وقال:

ـ الرقصة الثنائية يا سيدي هي ملكة الرقصات ورقصة الملكات ، اتسمعني ؟ ومنذ اليوم الذي لم يبق فيه ملوك ، لم تبق فيه رقصة ثنائية .

وبأسلوب فخم بدأ مديحه الفني الذي لم افهمه قط . لذلك رغبت في ان يصف لي الخطوات وكل الحركات وكل الاوضاع . تلعثم واهتاج لعدم مقدرته على ذلك وبان عليه الاسى ، والتفت فجأة نحو رفيقته القديمة الدائمة الصمت والجلال وقال :

ـ ليز ، اتريدين ، قولي ، اتريدين ان ترى السيد ما هي تلك الرقصة ؟ اتريدين ؟ سيكون ذلك لطفا كبيرا منك !

فادارت عينيها القلقتين في كل النواحي ، ثم نهضت بدون ان تنبس بنبت شفه ، ووقفت امامه وجها لوجه . عند ذلك شاهدت ما لست انساه: كانا يروحان ويجيئان بحركات طفولية مفتعلة ، يبتسمان ويتمايلان وينحنيان ويقفزان وكأنهما دميتان قديمتان تحركهما الة عتيقة معطوبة ، صنعها في القديم صانع ماهر جدا ، حسب الطرق المتبعة وقتئذ .

كنت انظر اليهما وقلبي يجيش بالاحاسيس العجيبة ، وعلى روحي تطغي كآبة لا توصف . خيل الي انني امام رؤيا يرثى لها ويضحك منها، امام ظل جيل فات وقته . فشعرت برغبة في الضحك وبحاجة الى البكاء

توقفا فجأة . لقد انهيا كل ضروب الرقصة وبقيا واقفين ، الواحد تجاه الاخر لمدة ثوان معدودات ، بوجهيهما المنفعلين ، ثم احتضن الواحد الاخر واجشها بالبكاء .

ذهبت بعد ثلاثة ايام الى الريف ولم اشاهدهما مرة ثانية ، وعندما رجعت الى باريس بعد سنتين ، الفيت الحديقة قد هدمت . ماذا جرى لهما بدون حديقة الماضي العزيزة ، بممراتها المتعددة ، وعبيرها المنبثق الماضي ، ومنعطفاتها الجميلة ؟ هل ماتا ؟ ايهيمان في الطرقات الحديثة كمنفيين بدون امل ؟ هل يرقصان كشبحين باهتين رقصة ثنائية خيالية ، في ضوء القمر ، بين اشجار مقبرة ، على ممرات محفوفة بالقبور ؟..

ان ذكراهما تراودني ، تسيطر على ذهني وتعذبني . انها ما زالت باقية في كجرح . لماذا ؟ لست ادري ..

اتجدون ذلك مضحكا ،ولاريب ؟..

بغداد

ترجمة ابتهاج احمد الاوقاتي